

## قراءة في كتاب سيويه - الباب الأول أنموذجاً

أ.د سعيد جاسم الزبيدي

قسم اللغة العربية / كلية العلوم والآداب

جامعة نزوى

### ملخص البحث

لم يزل في مقولة أبي عثمان المازني (ت249هـ) : " من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيويه فليستحي " (1) . نظر صائب ، فلو عكف اللاحقون من النحاة عليه إيضاحاً لغامضه ، وتعليقاً على مجمله ، وبياناً لمقصوده ، وشرحاً لمشكله ، لما أحوج الباحث ، والمتعلم إلى غيره ، ولكن كل من جاء بعده من النحاة نهج سبيلاً آخر في التأليف إما حسداً له ، وإما محاولة لصرف الأنظار عنه . عرفت ( كتاب سيويه ) في مرحلة الماجستير ، حين وصلت إلى الأجزاء الثلاثة - قبل تمام طبعه كاملاً - وكنت أقرأ منه أبواباً متفرقة ، حتى تهيأ لي أن ييسر أستاذنا المرحوم إبراهيم الوائلي بعضاً من مسأله ، ونهج سيويه في عرضها رواية وحواراً وسؤالاً مع شيخه الخليل بن أحمد ، فوقفنا على علم عزيز ، وكان هذا مشجعاً لكسر حاجز الخوف الذي صنعه مقولة المبرد (ت285هـ) : " هل ركبت البحر؟ " (2) . فطفقت أردد النظر في قراءة منتظمة لأحث طلبتي في مراحل الدراسات الجامعية الثلاث إلى اعتماد ( الكتاب ) أولاً في أبحاثهم ورسائلهم ، وموازنة ما ورد فيه بأراء اللاحقين ، والخلوص إلى ترجيح ، أو اجترار رأي . فتعززت القناعة بهذا ، وصح العزم على تجدد القراءة في نصوص الكتاب ، واستقراء ما أضاف إليه نحاة آخرون في مؤلفاتهم ، فكان العنوان :

" قراءة في كتاب سيويه \_ الباب الأول أنموذجاً "

وقامت خطة البحث على :

- مقدمة .
- المبحث الأول : قسمة الكلم الثلاثية : مفهوم الاسم .
- المبحث الثاني : مفهوم الفعل عند سيويه ، وموقف النحاة منه .
- المبحث الثالث : الحرف عند سيويه ، وتطور النظر فيه .
- الخاتمة .

والله ولي التوفيق

النصّ الأول :

" هذا باب علم ما الكلم من العربية "

(1) ابن النعم : الفهرست ، تحقيق : إبراهيم رمضان ، دار المعرفة / بيروت ، ط2 ، سنة 1997م ، ص 74.

(2) أبو سعيد السيرافي : أخبار النحويين البصريين ، ومراتبهم ، وأخذ بعضهم عن بعض ، تحقيق : محمد إبراهيم البناء ، دار الاعتصام / القاهرة ، ط1 ، سنة 1985م ، ص 65 .

قال سيبويه : " فالكلم : اسم ، وفعل ، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ، ولا فعل " (3) .

على الرغم من أنّ (كتاب سيبويه ) المدونة الأولى للنحو العربي ، وأتت بدأ بتصنيف الوحدات اللغوية ، وحدد علاقاتها ، شكلاً ، ووظيفة ، إلا أن تقسيم الكلام على ثلاثة مسبوق بما نُسب إلى أبي الأسود الدؤلي (ت69هـ) ، فعنده على ما دارت عليه الروايات أنّ الكلام كلّهُ اسم ، وفعل ، وحرف (4) ، وقيل في هذا التقسيم إنّه " إجماع النحويين " (5) ، وقيل : " وقد لاحظ الكوفيون كما لاحظ البصريون أن الكلمة ثلاثة أنواع " (6) .

وعلق تمام حسان على هذا التقسيم فقال : " إن التفريق على أساس من المبنى فقط ، أو المعنى ليس هو الطريقة المثلى التي يمكن الاستعانة بها في أمر التمييز بين أقسام الكلم " (7) . وهذا منطلق سليم ظهر منه عند سيبويه إذ قال : " واعلم أن المضاف إليه ينجر بثلاثة أشياء : بشيء ليس باسم ولا ظرف ، وبشيء يكون ظرفاً ، وباسم لا يكون ظرفاً " (8) . فجعل (الظرف) ليس اسماً ، وإن استدرك فقال : " وهذه الظروف أسماء ، ولكنها صارت مواضع للأسماء " (9) . فنظر إليها سيبويه من حيث الوظيفة التي تؤديها الظروف ، وانتزعتها من صنف الأسماء فكأنها لا تدخل فيها .

إنّ هذا - في نظري - أول خرق للقسمة الثلاثية .

و ثانيهما : أنّ سيبويه صنّف ألفاظاً مثل : ( رويد ، وحيهلّ ، وتراك ، وهلمّ ، وحذار ) في : " باب من الفعل سُمّي فيه بأسماء لم تؤخذ من أمثلة الفعل الحادث " (10) . وأطلق عليها مصطلح (أسماء الأفعال) (11) ، وهي لا تدخل في قسمته الثلاثية . وثالثهما : أن الفراء (ت207هـ) قال في (كلا) إنها بين الأسماء والأفعال (12) ، فانتزعتها من اسميتها كما انتزع سيبويه الظرف منها على ما مرّ .

ثم اجترح أبو بكر ابن صابر الأندلسي (ت بعد 750هـ) ل(أسماء الأفعال) مصطلح (الخالفة) ليصبح قسماً رابعاً (13) . وهنا نطرح سؤالاً : هل رصد شراح (كتاب سيبويه) ومن عقد عليه كتاباً نقداً ، أو تعليقاً أو استدراكاً على هذا الذي قدمناه ؟ فمنهم أبو سعيد السيرافي (ت368هـ) الذي فصل في شرحه ، ومنهم من شرح مشكلاته كأبي علي الفارسي (ت377هـ) ، ومنهم من بيّن الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه ، كالأعلم الشنتمري (ت476هـ) ، وهذا معروف عند الباحثين ، لكنهم انشغلوا - وشغلونا معهم - بأمور لا تمت إلى البحث النحوي بصلة ، ولا تقرب الكتاب للقارئ أو المتعلم فمثلاً :

(3) سيبويه : الكتاب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل / بيروت ، ط1 ، د.ت ، 12/1 .

(4) ينظر : الزجاجي : الإيضاح في علل النحو ، تحقيق : مازن المبارك ، دار النفائس / بيروت ، ط6 ، سنة 1996 ، ص89 .

(5) المصدر نفسه ص 41 .

(6) مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، مطبعة البايي الحلبي / القاهرة ، ط2 ، سنة 1958م ، ص337 .

(7) تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب / القاهرة ، ط6 ، سنة 2009م ، ص87 .

(8) سيبويه : الكتاب ، 419/1 .

(9) المصدر نفسه ، 420/1 .

(10) سيبويه : الكتاب ، 253-241/1 .

(11) المصدر نفسه ، 242/1 .

(12) أبو بكر الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ذخائر العرب / القاهرة ، ط2 ، سنة 1984م ، ص133 .

(13) ينظر : أبو حيان الأندلسي : التذيل والتكميل في شرح التسهيل ، تحقيق : حسن هندراوي ، دار القلم / دمشق ، ط1 ، سنة 1997م ،

ذكر السيرافي خمسة عشر لفظاً في ضبط عبارة ( هذا باب ما الكلم من العربية )<sup>(14)</sup> ، وأطال أبو علي الفارسي (ت377هـ) في مسائل لا علاقة لها بالكتاب<sup>(15)</sup> ، وأسهب الأعلام الشنتمري في مواضع عدّها المحقق مآخذ عليه<sup>(16)</sup> .

غير أننا لا نعدم إشارات دقيقة صائبة منها :

إنّ مقولة السيرافي مثلاً :

" وهذه الجملة هي اسم وفعل وحرف ، هنّ بعض العربية ، لأنّ العربية جملة وتفصيل " <sup>(17)</sup> . التي أرى فيها إرهافاً ل( نظرية النظم ) التي اجترحها عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)<sup>(18)</sup> .

ولم يكن أبو علي الفارسي في ( تعليقه ) متابعاً لكلّ رأي بصري - وإن كان بصرياً - فقد خالف الخليل في الاشتقاق من الحروف<sup>(19)</sup> ، وغلّط سيويه في غير مسألة<sup>(20)</sup> .

ولالأعلم أكثر من فائدة في ( نكته ) منها<sup>(21)</sup> :

• اهتمامه بشرح كلّ بيت ، وبيان معناه ، ومناسبة إنشاده .

• استدراك على سيويه والسيرافي معاً في باب الأبنية .

لننظر فيما قاله الثلاثة تعقيباً على ما ذكره سيويه في ( الاسم ) :

فعلّق أبو سعيد السيرافي (ت368هـ) على أقسام الكلم ، فقال : " وأما " الاسم " فإن سيويه لم يحدّه بحدّ ينفصل به عن غيره ، وينحاز من الفعل والحرف ... " <sup>(22)</sup> واستدرك عليه فحدّه : " كلّ شيء دلّ لفظه على معنى غير مقترن بزمان محصّل ، من مضيّ أو غيره فهو اسم " <sup>(23)</sup> .

أما أبو علي الفارسي (ت377هـ) فلم يخرج عن القسمة الثلاثية بل بسط القول في الاسم عند الأخفش الأوسط (ت215هـ) وابن السراج (ت316هـ)<sup>(24)</sup> .

---

<sup>(14)</sup> ينظر : شرح كتاب سيويه ، تحقيق : أحمد حسن مهدي ، وعلي سيد علي ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ط2 ، سنة 2012م ، 13/1

<sup>(15)</sup> تنظر : التعليقة على كتاب سيويه ، تحقيق : عوض بن حمد القوزي ، دار المفردات للنشر و التوزيع / الرياض ، ط1 سنة 2011م ، 37/1 - 38 .

<sup>(16)</sup> ينظر : النكت في تفسير كتاب سيويه ، وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغيره ، دراسة وتحقيق : رشيد بلحبيب ، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية / المملكة المغربية ، د.ط ، سنة 1999م ، 121/1 .

<sup>(17)</sup> شرح كتاب سيويه ، 12/1 .

<sup>(18)</sup> ينظر : عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاکر ، مطبعة المدني / القاهرة - حدّة ، ط3 ، سنة 1992م ، ص4 .

<sup>(19)</sup> تنظر : التعليقة على كتاب سيويه ، ص39 .

<sup>(20)</sup> ينظر : المصدر نفسه ، ص40-41 .

<sup>(21)</sup> ينظر : النكت في تفسير كتاب سيويه ، 119/1-120 .

<sup>(22)</sup> شرح كتاب سيويه ، 14/1 .

<sup>(23)</sup> المصدر نفسه ، 15/1 .

<sup>(24)</sup> تنظر : التعليقة على كتاب سيويه ، 14/1 .

أما الأعلام الشنتمري (ت476هـ) فقد كرر ما ذكره السيرافي في أقسام الكلم الثلاثة فقال : " والدليل على ذلك أن ليس من أحاط علماً بحقيقة الاسم والفعل والحرف أحاط بالعربية كلّها " (25) . - لا تعليق !

ولعلّ أبرز ما دار عليه كلامهم ما ذكره الزجاجي (ت337هـ) بقوله : " أما سيبويه فلم يحدّد الاسم حداً يفصله من غيره ولكن مثله ... فقال أصحابه ترك تحديده ظناً منه أنه غير مشكل " (26). لكنني لا أرى هذا صحيحاً ، فسيبويه لم يحدّه لأنه غير مشكل ، بل كان يرى فيه صوراً متعددة : من حيث الجنس (27) ، والعدد (28) ، والزمن (29) ، والميزان الصرفي (30) .  
ووظائف متعددة : كالإسناد (31) ، والإضافة (32) ، والفاعل (33) ، والمفعول (34) وغير ذلك مما يؤديه في الجملة ، فضلاً عن اختلاف علاماته في الإعراب والبناء .

وقطع أبو القاسم الزجاجي (ت337هـ) في أنّ هذه القسمة الثلاثية لا رابع لها ، ولا خامس (35) .  
وكرر ذلك أبو البركات الأنباري (ت577هـ) (36) .

ونخلص مما مرّ بفوائد :

- يدخل تقسيم سيبويه الثلاثي في المنهج الوصفي الذي قاده إلى تحريّ العلاقة بين شكل البنية ، وما يكون له من دلالة .
- إنّ أكثر ( الكلام وما يتألف منه ) يبني من هذه الأقسام الثلاثة ، على وفق مبدأ الكثرة الذي سنّه أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) حينما سئل : " أخبرني عما وضعت مما سميتّه عربية ، أيدخل فيها كلام العرب كلّّه ؟ فقال : لا . قال السائل : فقلت : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجّة ؟ قال : أعمل على الأكثر ، وأسمّي ما خالفني لغات " (37) .
- وبناء على ذلك لم تكن القسمة الثلاثية شاملة لألفاظ العربية التي وجد فيها المحدثون بغيتهم للانطلاق من أسر هذه القسمة :

(25) النكت في تفسير كتاب سيبويه ، 1/163 .

(26) الإيضاح في علل النحو ، ص49 .

(27) ينظر : كتاب سيبويه ، 1/17-20 .

(28) المصدر نفسه ، 1/17-19 .

(29) المصدر نفسه ، 1/12 .

(30) المصدر نفسه ، 3/7 .

(31) المصدر نفسه ، 1/23 .

(32) المصدر نفسه ، 1/419 .

(33) المصدر نفسه ، 1/33 .

(34) المصدر نفسه ، 1/43 .

(35) ينظر : الإيضاح في علل النحو ، ص41-42 .

(36) ينظر : أبو البركات الأنباري : أسرار العربية ، تحقيق : محمد بحة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي / دمشق ، د.ط ، سنة 1957م ، ص3-

(37) أبو بكر الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ذخائر العرب / القاهرة ، ط2 ، سنة 1984م ،

أما المحدثون فقد اختلفوا في أقسام الكلمة وعلى الوجه الآتي :

- يعقوب عبد النبي (ت1945م) الذي يراها ثمانية : الاسم ، والضمير ، والمصدر ، و الصفات ، والظرف ، والفعل ، والحرف ، وأسماء الأفعال والأصوات (38).
- إبراهيم أنيس (ت1977م) الذي رآها أربعة : الاسم ، والضمير ، والفعل ، والأداة (39).
- مهدي المخزومي (ت1993م) الذي رآها أربعة أيضاً ولكنه يختلف في الأقسام ، فهي عنده : الفعل ، والاسم ، والأداة ، والكنايات (40).
- أمّا تمام حسّان (ت2011م) فقد رآها سبعة هي : الاسم ، والصفة ، والفعل ، والضمير ، والخوالف ، والظرف ، والأداة (41).

وتلقفها تلميذه فاضل الساقى وعقد عليها رسالته في الدكتوراه باسماً الكلام لتسويغ هذه القسمة السباعية (42).

وربما يظهر باحث آخر ليعيد القسمة على وفق زاوية نظر جديدة !

- وأرى أن عبارة السيرا في أن الاسم والفعل والحرف " هنّ بعض العربية " مفتاح جميل للنظر في العربية جملةً وتفصيلاً .
- وحين لم يضع النحاة القدامى حدّاً جامعاً مانعاً للاسم لجؤوا إلى ذكر علامات تميزه من غيره ، منها : الجرّ ، والفاعلية (43)، وما جاز أن يخبر عنه (44)، وجمعها الزجاجي (ت337هـ) : بالخفض ، والتنوين ، ودخول الألف واللام عليه ، والنعت ، والتصغير ، والنداء (45).

حتى أوصلها أبو البركات الأنباري إلى نيّف وسبعين علامة (46).

ونخرج من هذا إلى أن للاسم أشكالاً ووظائف متعددة يطول الوصف فيها ، وأرى أن يبحث الاسم من هاتين الزاويتين :

- الشكل : صرفاً ولواحق ولواصق .
- الوظيفة : في التركيب : إسناداً وعلامة وتقديماً وتأخيراً وذكرًا وحذفًا .

## النصّ الثاني :

وقال : " وأما الفعل فأمثلة أُجذت من لفظ أحداث الأسماء ، وثبتت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع . فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث ومُجد . وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمراً : اذهب و اقتل واضرب ، ومخبراً : يقتل ويذهب ويضرب

(38) ينظر : عبد الوارث مبروك سعيد : في إصلاح النحو العربي – دراسة نقدية ، دار القلم / الكويت ، ط1 ، سنة 1985م ، ص126-127.

(39) ينظر : من أسرار اللغة ، مكتبة الانجلو المصرية / القاهرة ، ط6 ، سنة 1978م ، ص218-294 .

(40) ينظر : في النحو العربي قواعد وتطبيق ، دار الرائد العربي / بيروت ، ط3 ، سنة 1985م ، ص63-63 .

(41) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص90-132 .

(42) ينظر : أقسام الكلام العربي بين الشكل والوظيفة ، مكتبة الخانجي / القاهرة ، ط1 ، سنة 1977م ، ص139 ، وما بعدها.

(43) ينظر : المقتضب ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، طبع لجنة إحياء التراث الإسلامي / وزارة الأوقاف القاهرة ، ط1 ، سنة 1386هـ ، ص3/1 .

(44) ينظر : الأصول في النحو ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، ط3 ، سنة 1996م ، ص37/1 - 38 .

(45) ينظر : الجمل في النحو ، تحقيق علي توفيق الحمد ، عالم الكتب الحديث / إربد / الأردن ، ط1 ، سنة 2016م ، ص63 .

(46) ينظر : أسرار العربية ، ص9-10 .

ويُقْتَل ويُضْرَب . كذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت . فهذه الأمثلة التي أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، ولها أبنية كثيرة ستبين إن شاء الله . والأحداث نحو الضرب والحمد والقتل " (47).

يربط سيويوه - وبعده جميع النحاة - الفعل خارج السياق بالزمن ، وأصبح هذا الموقف المنهج المتبع في الدراسات النحوية قديماً وحديثاً ، مع اختلاف في التوزيع والدلالة .

انقسم النحاة اللاحقون في مفهوم الفعل ودلالته الزمنية على ما ورد في مقولة سيويوه على الوجه الآتي :

1/ نحاة كرروا هذه المقولة وأعادوا إنتاجها بعبارات أخرى :

• فلبرد (ت285هـ) قال : " الزمن خاصة وعامة يتصل به الفعل ، وذلك أن الفعل إنما بني لما مضى من الزمان ، ولما لم يمض ( أي الحال والاستقبال ) " (48) . وأعاد في موضع آخر مقولة سيويوه بألفاظ أخرى ، فقال : " فالفعل إنما هو مبني للدهر بأمثله . ف (فَعَلَ) لما مضى منه ، و ( يَفْعَل ) يكون لما أنت فيه ولما يقع من الدهر " (49) .

• وأبو بكر ابن السراج (ت316هـ) اختصرها فقال : " الفعل ما دلّ على معنى وزمان ، إما ماضٍ ، وإما حاضر ، وإما مستقبل " (50) .

• وترجح الزجاجي (ت337هـ) بين أن يذكر زمنين للفعل مرة وثلاثة في أخرى فقال : " الفعل على أوضاع النحويين ، ما دلّ على حدث ، وزمان ماضٍ ، أو مستقبل " (51) .

هنا يذكر الزجاجي زمنين للفعل ، ولكنه في موضع آخر يقول : " فأسبق الأفعال في المرتبة المستقبل ، ثم فعل الحال ، ثم الماضي " (52) .

2/ أما الذين وقفوا على (كتاب سيويوه) شرحاً ، أو تعليقاً ، أو تبيناً للخفي من ألفاظه ، فقد اخترنا ثلاثة وهم :

• أبو سعيد السيرافي (ت368هـ) الذي قيل فيه : " ولم يشرح كتاب سيويوه أحد أحسن منه ، ولو لم يكن له غيره لكفاه ذلك فضلاً " (53) .

إذ يجزنا أبو سعيد السيرافي (ت368هـ) إلى مباحث منطقية في صورة سؤال وجواب ليرسم لنا صورة معقدة للفعل : تبدأ بسؤال " لم تُقَب هذا بالفعل " (54) . ويفسر لفظة ( أمثلة ) .

(47) كتاب سيويوه ، 12/1 .

(48) المقتضب ، 176/3 .

(49) المصدر نفسه ، 335/4 .

(50) الأصول في النحو ، 38/1 .

(51) الإيضاح في علل النحو ، ص52 .

(52) الإيضاح في علل النحو ، ص52 .

(53) أبو البركات الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار / الزرقاء - الأردن ، ط3 ، سنة 1985م ، ص228 .

(54) ينظر : شرح كتاب سيويوه ، 15/1 .

- وهذه الأمثلة (مصادر) تحدثها (الأسماء) (55) .
- ويذهب بعيداً ليقول (الفعل أثقل من الاسم) (56) .
- لينتهي إلى " أن سيبويه ومن نحاً نحوه يقسم الفعل على ثلاثة أزمنة : ماض ، ومستقبل وكائن في وقت النطق " (57) .
- ويسترسل ليرد على طعون مفترضة (58) توهمها ليثبت براعته في الجدل !
- وأبو علي الفارسي (ت377هـ) الذي تفرّد بكتاب سيبويه ، والإكباب عليه (59) .
- فقد اكتفى أبو علي الفارسي (ت377هـ) بكلام موجز فيقول : " وأما الفعل فما دلّ على معنى وزمان ، وقد رسمه بذلك فلم يقتصر فيه على المثال كما اقتصر عليه الاسم (60) .
- والأعلم الشنتمري (ت476هـ) الذي قيل في كتابه (النكت ) : " فقد استطاع أن يتخلص فعلاً من إسهابات السيراني . لكنه لم يستطع أن يتخلص من لفظ السيراني في نقله للنكت " (61) . و " أن أكثر عبارات الأعلام مأخوذة من شرح السيراني من غير ما عزو أو إشارة إلى ذلك " (62) .
- فقد كرر الأعلام الشنتمري مقولة السيراني فقال : " اعلم أن سيبويه ومن نحاً نحوه يقسم الفعل على ثلاثة أزمنة : ماض ، ومستقبل ، وكائن في وقت النطق به " (63) . ولا جديد .
- 3/ أما الكوفيون فقد اختلفوا مع سيبويه والبصريين في أمرين :
- الأول : في أن فعل الأمر لا يعدّ قسيماً للماضي والمضارع (64) ، وخلوه من الزمن (65) الذي جعله سيبويه في ( لم يقع ... قولك أمراً اذهب ) .
  - الثاني : أنهم جعلوا اسم الفاعل العامل فعلاً دائماً (66) .

(55) المصدر نفسه ، 16/1 .

(56) المصدر نفسه ، 16/1 .

(57) المصدر نفسه ، 17/1-18 .

(58) المصدر نفسه ، 18/1-19 .

(59) ينظر : أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، المكتبة العصرية / بيروت ، ط1 ، سنة 1424هـ ، ص102 ، وياقوت الحموي : معجم

الأدباء ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي / بيروت ، ط1 ، 1993 م ، 889/2 .

(60) التعليق على كتاب سيبويه ، 16/1 .

(61) رشيد بلحبيب : مقدمة النكت في تفسير كتاب سيبويه ، 104/1 .

(62) طاهر محمد الهمس : كتاب سيبويه وأثره في نخاة الكوفة حتى القرن الرابع الهجري ، دار النوادر / دمشق ، ط1 سنة 2014م ، ص43 .

(63) النكت في تفسير كتاب سيبويه ، 165/1 .

(64) ينظر : أبو البركات الأنباري : أسرار العربية ، ص317-319 .

(65) ينظر : مالك يوسف المطلبي : الزمن واللغة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة ، د.ط ، سنة 1986 ، 45/1 ، 165 .

(66) ينظر : الفراء : معاني القرآن ، تحقيق محمد علي النجار ، دار السورور / القاهرة ، ط1 ، سنة 1966م ، 45/1 ، 165 .

وآلت دلالة الزمن في الفعل عند النحاة اللاحقين إلى ربطها بأقسام الزمن الفلسفي على وفق ما قاله ابن يعيش (ت643هـ) : " لما كانت الأفعال مساوقة للزمن ، والزمان من مقومات الأفعال ، توجد عند وجوده ، وتنعدم عند عدمه ، انقسمت بأقسام الزمان ، ولما كان الزمان ثلاثة : ماضٍ ، وحاضر ، ومستقبل ، وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك " (67).

إن سيبويه تنبه على أن الفعل وحده لا ينفرد بالدلالة على الزمن ، فقال : " هذا باب وقوع الأسماء ظروفًا " (68) أو " ما يكون المصدر فيه حينًا " (69) ، والأدوات أيضًا (70) ، وغيرها (71).

4/ أما المستشرقون فقد شاع عندهم أن اللغات السامية — منها العربية — ناقصة في دلالة الأفعال على الزمن ، فليس فيها إلا دالتان : زمن تام وغير تام ، أو منته ، و غير منته (72).

وانتظمت مناقشات الباحثين في زمن اللغة العربية على ما يأتي (73) :

• في العربية صيغ صرفية تعبر عن الزمن وجهاته .

• صيغ زمنية أخرى في السياق .

• في الأساليب : كالنفي والشرط والاستفهام ، وأدواتها .

ولعل وظيفة السياق مطردة الدلالة الزمنية (74).

وأخيراً نقول : إن مباحث المعاصرين في دلالة الزمن في العربية وعلى وجه التحديد ربط الزمن بالفعل تقترح منهجاً لدراسة ذلك في :

• الدرس الصرفي .

• الدرس النحوي .

• الدرس السياقي : للأساليب والأدوات .

وعلى وفق ما تقدم ففي (كتاب سيبويه ) غنى إذا تجرد له الباحثون ، وسيجدون فيه درساً كاملاً : نظراً وتطبيقاً .

**النصّ الثالث:**

وقال : " وأما ما جاء المعنى ، وليس باسم ولا فعل فنحو : ثمّ ، سوف ، و واو القسم ، ولام الإضافة ، ونحوها " (75).

لعل أبا القاسم الزجاجي (ت337هـ) أول من تنبه على أن الحروف ثلاثة أضرب (76) :

(67) شرح المفصل ، مكتبة المتنبّي / القاهرة ، د. ط ، د. ت ، 4/7 .

(68) كتاب سيبويه ، 216/1 .

(69) المصدر نفسه ، 117/3 .

(70) المصدر نفسه ، 222/1 .

(71) المصدر نفسه ، 225/1 .

(72) ينظر : إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط1 ، سنة 1929 م ، ص 15-16 ، وينظر : W.W

Right, Agrammar of the Arabic Language .vol. 2p. 3 ,1951

(73) ينظر : مالك يوسف المظلي : الزمن واللغة ، ص23 .

(74) ينظر : تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص107 .

(75) كتاب سيبويه ، 12/1 .

(76) ينظر : الإيضاح في علل النحو ، ص 54 .

- حروف المعجم .
- حروف المباني .
- حروف المعاني .

ولكن في كتابه ( الجمل في النحو ) يضيف إلى أنّ " الحرف على ما دل على معنى في غيره " (77).

وقد ذكر سيبويه الضرب الثالث بما يلتزم به الكلام ، واختلف النحاة بعده في هذا :

- فالسيرافي (ت368هـ) فصل في معاني الحروف انطلاقاً من مقولة سيبويه فقال : "إنّ جملة الحروف تجيء لمعان أنا أذكرها ... " (78) .

- وعلق أبو علي الفارسي (ت377هـ) عليها ، فقال : " وأما الحرف ما دلّ على معنى ، ولم يجز الإخبار عنه ، ولا أن يكون خبيراً " (79) . محاولاً أن يضع ملامح تحديد للحرف .

- وفسر الأعلام الششمري (ت476هـ) مقولة سيبويه في الحرف بأوجه ثلاثة (80) :  
— أنه مؤثر في غيره .

— يجيء لمعنى .

— أنه على ضربين : حرف معنى ، وحرف معجم .

كأنه غفل عما ذكره الزجاجي في الضرب الثاني ، وكرر الضربين الآخرين .

- واستعمل الفراء (ت207هـ) مصطلح ( الأداة ) (81) ما أراه سيبويه في ( الحرف ) ، وهذا مظهر من مظاهر الخلاف بين البصريين والكوفيين في اجترار مصطلحات تميّز كلاً منهما .

- ورأى أستاذنا مهدي المخزومي (ت1993م) أن مصطلح ( الأداة ) أكثر دقة ودلالة من مصطلح الحرف (82) ، ووافق أحمد مكّي الأنصاري (83) .

وتوسّع أهل العربية في حدّ الحرف فذهبوا فيه مذاهب :

1/ من الذين تابعوا سيبويه في مفهومه :

(77) الجمل في النحو ، ص 61 .

(78) شرح كتاب سيبويه ، 19/1 .

(79) التعليقة على كتاب سيبويه ، 16/1 .

(80) النكت في تفسير كتاب سيبويه ، 164/1 .

(81) ينظر : معاني القرآن ، 58/1 ، وينظر : عوض حمد القوزي : المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، نشر عمادة شؤون

المكتبات / الرياض ، ط 1 ، سنة 1981م ، ص 174 .

(82) ينظر : مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص 242-311 .

(83) ينظر : أبو زكرياء الفراء ومنهجه في النحو واللغة ، نشر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية / القاهرة ، ط 1 ، سنة 1964 م ،

• المبرد (ت285هـ)<sup>(84)</sup>، وأبو علي الفارسي (ت377هـ)<sup>(85)</sup>، وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)<sup>(86)</sup>، والبطلوسي (ت521هـ)<sup>(87)</sup>.

2/ ومنهم من جعل علامة الحرف عدم قبوله الإسناد :

• كابن السراج (ت316هـ)<sup>(88)</sup>، وأبو البركات الأنباري (ت577هـ)<sup>(89)</sup> وابن مالك (ت672هـ)<sup>(90)</sup>، وابن الناظم (ت686هـ)<sup>(91)</sup>، والسليبي (ت770هـ)<sup>(92)</sup>، والصّبّان (ت1206هـ)<sup>(93)</sup>.

3/ ومنهم من نصّ على دلالة الحرف في غيره :

• الزجاجي (ت337هـ)<sup>(94)</sup>، والغالبية من النحاة<sup>(95)</sup>.

4/ ومنهم من لم ير في الحرف أية دلالة على المعنى :

• الرضي الاستراباذي (ت686هـ)<sup>(96)</sup>، وتابعه أكثر الأصوليين في ذلك<sup>(97)</sup>.

5/ ووظف تمام حستان مصطلح (الأداة) ليدرج تحته :

ما كان حرفاً لمعنى ، وما كان محمولاً عن ظرف ، أو اسم ، أو فعل ، وما نُقِلَ إلى معانٍ أخرى<sup>(98)</sup>.

<sup>(84)</sup> ينظر : المقتضب ، 40/1 .

<sup>(85)</sup> ينظر : الإيضاح ، تحقيق كاظم بحر المرجان ، عالم الكتب / بيروت ، ط1 ، سنة 2008م ، ص72 .

<sup>(86)</sup> ينظر : المقتصد في شرح الإيضاح ، تحقيق كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد / بغداد ، ط1 ، سنة 1982م ، 84/1 .

<sup>(87)</sup> ينظر : إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي ، تحقيق حمزة عبدالله النشري ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ط1 ، سنة 2003م ، ص40 .

<sup>(88)</sup> ينظر : الأصول في النحو ، 40/1 .

<sup>(89)</sup> ينظر أسرار العربية ، ص4 .

<sup>(90)</sup> ينظر : شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتحى السيد ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ط2 ،

سنة 2009م ، 17/1 .

<sup>(91)</sup> ينظر : شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ط1 ، سنة 2000م ، ص6 .

<sup>(92)</sup> ينظر : شفاء العليل في إيضاح التسهيل ، تحقيق : عبدالله البركاتي ، المكتبة الفيصلية / مكة المكرمة ، ط1 ، سنة 1986م ، 97/1 .

<sup>(93)</sup> ينظر : حاشية الصّبّان على شرح الأشموني ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ط1 ، سنة 1997م ، 35/1 .

<sup>(94)</sup> ينظر : الإيضاح في علل النحو ، ص54 ، وينظر : الجمل في النحو ، ص1 .

<sup>(95)</sup> ينظر : خليفة بن ناصر البرواني : الخلاف بين البصريين والكوفيين في كتب معاني الحروف : المالقي ، والمرادي ، وابن هشام ، بحث غير منشور بقسم اللغة

العربية / كلية العلوم والآداب / جامعة نزوى ، سنة 2011م ، ص14-19 .

<sup>(96)</sup> ينظر : شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، تحقيق : حسن عمر يوسف ، منشورات جامعة قار يونس / بنغازي ، ط2 ، سنة 1996م ، 10/1 .

<sup>(97)</sup> ينظر : مصطفى جمال الدين : البحث النحوي عند الأصوليين ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام / بغداد ، د.ط ، سنة 1980م ، ص206 .

<sup>(98)</sup> ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص123 .

بمصطلح ( الأداة ) الذي نجد فيه أوسع دلالة ، ويمكننا - كم أمكن تمام حسن - أن ندرج تحته كثيراً من الالفاظ التي أشكل على النحاة تصنيفها ، وترجحوا بين عدها أسماء أم أفعالاً مثل : كيف ، وأين ، ومتى ، وأنى ، وإيان<sup>(99)</sup>، وصه ، ومه<sup>(100)</sup>، وغيرها ، لنجترح تصنيفاً جديداً للألفاظ ، فضلاً عن رصد التطور في البحث النحوي منذ سيبويه حتى عصرنا الراهن .  
وبهذا تتضح صورة قسم من أقسام الكلمة ، وفيها تيسير كبير .

#### الخاتمة

توصلت ورقتنا هذه التي وقفت على الباب الأول من كتاب سيبويه إلى :

- 1- لم تكن القسمة الثلاثية للكلم قد شملت ألفاظاً عربية بل استندت إلى مبدأ ( الكثرة ) في ضوء الاستقراء الناقص.
  - 2- خرق سيبويه في أكثر من موضع هذه القسمة ، ومثله نحاة الكوفة وغيرهم .
  - 3- لم يكن سيبويه غافلاً حين لم يضع للاسم حداً بل مثل له : ( رجل وفرس وحائط ) لأنه يعلم أن للاسم أشكالاً ووظائف متعددة ، مما أدى بالنحاة إلى ذكر تيف وسبعين علامة لم تكن موضع اتفاق .
  - 4- لعل مقولة سيبويه في الفعل منطلق صالح لبحث موسع يشمل الكتاب كله ، للوصول إلى صورة واضحة في دلالة الزمن .
  - 5- ويرى البحث أن مصطلح ( الأداة ) أوسع دلالة من ( الحرف )، تنتظم فيها ألفاظ أخرى قد تكون أسماء أو أفعالاً تحدها الأساليب أو السياقات مما ييسر للدارسين فهمها.
- إن ورقتنا هذه تجدد الدعوة إلى عودة الباحثين للنظر في ( كتاب سيبويه ) وبيان مباحثه في الدراسات الجامعية - وفي الأقل - الدراسات العليا ، لبثّ الروح في الدرس النحوي .

والله الموفق للصواب

<sup>(99)</sup> ينظر : الإيضاح في علل النحو ، ص 49 .

<sup>(100)</sup> ينظر : المصدر نفسه ص 51 .